لغز الموت
و
أسرار من القبور

محمد عبده مغاورى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله الذى أودع فى الناس البصائر، فمنهم مهتد ومنهم ضال وحائر.

كتب منذ القدم أنه «لا إله إلا أنا فاعبدون» فمن الناس من حاد عنها ومنهم بها يهتدون، ولله فى كل تحريكة وتسكينة آية تدل أبداً على أنه رب الحياة والمنون.

فواعجبا كيف يُعصَى الإِلـه أم كيـف يجحـده الجَاحـــدُ
ولله فـى كـل تـحـريكـة وتـسـكـينة أبـداً شَـاهَـــدُ
وفى كـل شـىء لـه آيـــة تـــدلُّ عـلـى أنـه واحِـــدُ

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله صلاة ربى وسلامه عليه سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وصفوه الخلق ونور اليقين.

أما بعد:

فيا أحباب رسول الله ﷺ، أردت أن أجمع فى هذا الكتاب بأمر العلى الوهاب، الكثير والكثير من أمور الثواب والعقاب وبلوغ المرام يوم الحساب كذا أخبار الموت والقبر وأشياء لها العجب العجاب، تغيب عنا ولكنها فى صحف من قبلنا مدونةٌ ليقرأها أولو الألباب، جمعتها لكثرة السؤال عنها وحيرة الناس فى شأنها بلا جواب.

هذه الأمور أرى بعضها فى قول الشاعر:

ألا أيها الناسى ليوم رحيله أراك عن الموت المفرق لاهياً
ولاتر عوى بالظاعنين إلى البلى وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقه وما عمروا من منزل ظل خاويا
فى بطون الأرض صرعى جفاهمو صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غداً أو بعده فى جوارهم وحيد فريد فى المقابر ثاويا

جفاك الذى قد كنت ترجو وداده ولم تر إنسانا لعهدك وافياً
فكن مستعداً للحمام [1] فإنه قريب ودع عنك المُنى والأمنيا

فهذه الأبيات العظيمة مدلول على عنصر من عناصر الكتاب، وهو عنصر الموت، ومافيه من كلام، فكتابنا بعون الله ورحمته سيبدأ بالحديث عن الموت، وهل من الصحيح أن الموت لغز أم لا؟

ثم يخوض الكتاب فى عنصر آخر جمعه أحد الشعراء حين قال مُرشدا فى أبياته :

تزود من التقوى فإنك لاتدرى إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وهذه الأبيات جمعت عنصر هام من عناصر الكتاب وهو القبر وساعته ولعل الجميع سيسأل ولم نجمع كل ذلك، لم نجمع الموت وحقيقته، والقبر وحكايته، والإجابه يسيرة جداً أقولها لكم قبل أن نخوض فى كتابنا، هذه الإجابة جمعت فى قول الشاعر:

قل للطبيب تخطفته يد الردى ياشافى الأمراض من أرداكا[2]؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما عجزت فنون الطب من عافاكا؟
قل للصحيح يموت لامن علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذى أهواكا؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام من يقود خطاكا؟

(١) الحمام: بكسر الحاء يعنى الموت.
(٢) أورداكا: أى أوقعك فيها.

قل للجنين يعيش معزولا بلا   راع ومرعى ما الذى يرعاكا؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء   لدى الولادة ما الذى أبكاكا؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه   فاسأله من ذا بالسموم حشاكا؟
واسأله كيف تعيش ياثعبان أو   تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت   شهداً وقل للشهد من حلاكا؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين   دم وفرث ما الذى صفاكا؟

إن الإجابة على كل تلك الأسئلة التى بمقدور البادئ قبل الباحر أن يجاوب عليها تتلخص فى قولنا:

ولعل مافى الكون من آياته   عجب عجاب لو ترى عيناكا
لله فى الآفاق آيات لعل أقلها   هومـــــا إليـــه هداكـــــا

هذه هى الإجابة التى ينبغى أن يدركها الجميع، كذا الغرض الحقيقى من كتابنا. دفع بعض الشبهات وقمع أباطيل الكافرين وزيادة النور والهدى فى قلوب المؤمنين.

فالخوض فى حديث الموت والقبر يرد كيد الكائدين ومكر الماكرين ويقطع ألسنة الكافرين، كذا يكون فى حديثنا توافقا مع حديث رسول الله ﷺ، عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أوصاه فقال له: «**زُرِ القُبُورَ تَذْكُرُ بها الآخرَةَ، وَاغسلُ المُوتَى فإنَّ مُعَالَجَةَ جَسَد خَاو مَوعظةٌ بَليغَةٌ وَصَلِّ على الجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أن يُحْزِنَكَ فإنَّ الحَزِينَ فى ظلِّ الله يَتَعَرَّضُ كُلَّ خَيْرٍ**»[1].

فهذا هو السبب الحقيقى الذى يقود إلى كتابة هذا الكتاب الذى أرجو به من الله عز وجل الهداية لى ولسائر المسلمين، وأن يكون به الخير والنفع للأمة إلى يوم الدين فيرد الحائرين ويقمع وساوس الشياطين ويخرجنا من ظلمة حب الدنيا إلى السعادة بيوم اليقين، وأخيراً ، أسأل الله عز وجل أن أكون جمعت بلا تقصير كل

(١) رواه الحاكم وسنده من الثقات والحديث من درجة الصحيح.

مايهم المسلمين فى شأن لغز الموت وأخبار الراحلين إلى دور أنبأ عنها النبى بأمر رب العالمين، فاللهم وفقنا آمين آمين آمين.

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصورة - عزبة عقل بجوار مجمع الإيمان

ت/ ٣٦٧٩٢٥

تمهيد

إن الحمد لله الذى خلق المخلوقات أوجد الموجدات، فالكل بقدرته سائر، والضال عن شريعته حائر، سبحانه خلق فسوى، وقدر فهدى.

يامن إليه جميع الخلق يبتهل ... وكل حى على رحماه يتكل
يامن نادى فرأى مافى الغيوب وما ... تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يامن دنا فنأى عن أن تحيط به ... الأفكار طرا أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به فى كل حادثة ... أنت الإله وأنت الذخر والأمل
أنت الغياث لمن سدت مذاهبه ... أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إن قصدناك والآمال واقعة ... وإن سطوت وأنت الحاكم العدل

أما بعد ـ

فإن العاقل من تدبر وتفكر فى أمور الآخرة، وأعد لساعته يوم يوضع فى بيوت بالأعمال عامرة، إن صلحت الأعمال فالبيوت نيرة، وإن كانت أعمال سوء فمظلمة عافرة.

هذه البيوت هى القبور والساعة هى الموت الذى لا محالة نلاقيه، وكما تعودت مع قرائى الأعزاء أن أعرض عليهم محتويات الكتاب، قبل الخوض فيه، حتى نحصل على الموجز الشامل الذى يُلِمُ بعناصر الموضوع، وحتى تكون القراءة متصلة غير منقطعة، فالإنسان عندما يدرك نقاط البحث ويعلمها، يقرأ البحث بدون غموض أو انقطاع فى الاسترسال والفهم.

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى أربعة مسائل هامة بفضل المولى عز وجل هذه الأربعة: هى:

أولا: لغز الموت :ـ حيث سنتعرض إلى بيان وأقوال الفرق الكافرة فى شأن

الموت، وكيف أراد هؤلاء أن يجعلوا من الموت لغزا لابد له من حل، وماهى أهم الحلول التى ابتكروها.

ثانيا: حقيقة الموت: حيث سنذكر فى هذه المسأله حقيقة الموت وموقف أهل الإيمان ودقائق الأخبار وكيف أن الموت زائر.

ثالثا: القبر يتحدث: وفى هذا الفصل نتحدث عن الروح وحقيقة القبر والصعود للسماء والقصور المحترقة وسكان القبور.

رابعا: هؤلاء عادوا من القبور وهنا نختم حديثنا .

وحتى لا نستعرض باستطالة مابداخل الكتاب فهيا بنا نمضى سريعا لنجول فى صفحاته ونستغرق فى عباراته، عسى الله أن ينفعنا بما فى داخل هذا الكتاب المتواضع من جمع وترتيب وتأليف، اللهم آمين آمين.

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصورة ـ عزبة عقل بجوار مجمع الإيمان

ت/ ٣٦٧٩٢٥

الفصل الأول
لغز الموت

[١] اللغز معناه ومطلقوه.

[٢] إنكار الموت (انتقال الروح من جسد إلى جسد حقيقة أم خيال).

[٣] دعونى للموت.

[٤] لن أموت.

[٥] أعيدوا موتاكم بالدولارات.

[٦] اللهم صبرا.

الفصل الأول

لغز الموت

لقد اخترت أن يكون هذا هو الفصل الأول، بالرغم من أن الأرجح عند بعض الناس أن يكون هذا هو الفصل الأخير، ولكن عندما أقول لكم تلك الكلمات ستعلمون ماهى الأسباب التى دفعتنى، هذه الكلمات هى أن الكفرة أرادوا أن يجعلوا من الموت لغزاً كبيرا حتى ينكروه، ويظلوا على كفرهم دون تراجع وللأسف الشديد هناك بعض الجهلة من المسلمين تدبروا أمر هذا اللغز وحدث عندهم شك رهيب، لذا أردت حمل هذا الشك ودفع أوهام الكافرين حتى نسير بلا ريب أو زيغ، وندفع كل جهالة عن أى مسلم، وليس من الصحيح أبداً عرض الأمر ثم عرض مفتاحه بل نعرض المفتاح الصحيح للقضية ثم نعرض القضية عرضاً شاملاً وحتى لا أطيل عليكم فإليكم البيان لما أقول:

أولا: معنى كلمة لغز: يقول العلامة ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب: (لغز: ألْغَزَ الكلام وألْغَزَ فيه: عَمَّى مُرادَه وأضْمَرَه على خلاف ما أظهره، واللُّغَّيزى، بتشديد الغين، مثل اللَّغَز والياء ليست للتصغير؛ لأن ياء التصغير لا تكون رابعة، وإنما هى بمنزلة خُصَّارَى للزرع، وسُقَّارَى نبت.

واللُّغْزُ، واللُّغَزُ، واللَّغَزُ :ـ ما ألْغِزَ من كلام فَشُبِّه معناه. مثل قول الشاعر أنشده الغراءُ:

ولما رأيت النَّسْرَ عَزَّ ابْنَ دَأيَةٍ   وعَشَّش فى وكْرَيْه، جاشَت له نفس

فهنا أراد الشاعر بالنسر: الشيب شبهه به لبياضه، وشبه الشباب بابن دأيه، وهو الغراب الأسود؛ لأن شعر الشباب أسود.

واللُّغَزُ: الكلام المُلَبسَّ . وقد ألغَزَ فى كلامه يُلْغِزُ إلغازاً إذا وَرَّى فيه وعَرَّضَ ليَخفَى، والجمع ألغاز مثل رُطَب وأرطاب. واللُّغْزُ واللَّغَيْزَى والإلْغازُ، كله: حفرة يحفرها اليربوع فى جُحْره تحت الأرض، وقيل: هو جُحْر الضب والفأر واليربوع بين القارصعاء والنَّافقاء، سُمى بذلك؛ لأن هذه الدواب تحفره مستقيما إلى أسفل،

ثم تعدل عن يمينه وشماله عُروضا تعترضها تُعميَّه ليخفى مكانه بذلك الإلغاز).

هذا هو كلام العلامة ابن منظور فى شأن كلمة لغز ومن خلال كلامه نستطيع أن نقول: أن هناك أكثر من تعريف لكلمة لغز ولكن كل التعريفات تقود إلى معنى واحد هذا المعنى هو (كل ما قاد إلى اختفاء المعنى الحقيقى فهو لغز).

وبعد أن تعرفنا على معنى الكلمة فياترى لما عرفنا تلك الكلمة؟ وماهى أهميتها؟

وللإجابة على كل الأسئلة التى من الممكن أن تطرح أقول لكم أعزائى وأحبابى، إن الكافرين يريدون أن يجعلوا من الموت لُغزا لذلك أحط لكم بكلمة لغز وبمعناها حتى إذا تكلمنا تسنى لنا معرفة ثمرة الكلام وإذا قلنا أن الكافرين يريدون أن يجعلوا من الموت لغزا عرفنا معنى كلمة لغز.

والسؤال الآن، كيف يجعل الكفرة من الموت لُغزا؟

والإجابة يسيرة جدًا، وهى أن الكفرة يحاولون تفسير الموت ولا يريدون الاعتراف بأن الموت صعود الروح إلى الواحد الديان وانقطاع البدن عن الحركة، فهم يريدون تفسير الموت وبالطبع لا يُفسر إلا اللغز، هكذا جعل الكفرة الموت لُغزاً.

ولهذا أريد أن نقرأ سويا تلك الأبيات التى ذكرها العلامة النابلسى فى كتابه (حقائق الإسلام وأسراره) حيث قال:

إن للكفر ظلمة فى الوجود ... تستر الروح تحت طى الجلود
وهو عين السوى وللنور نار ... هو فى النشأتين ذات الوقود
ولهذا ترى الكثائف فيه ... أذنت يوم بعدها بالخلود
كل علو له من الكفر سفل ... ضم موجوده إلى المفقود
ويح قوم باعوانها رأت قرب ... بليال من شدة البعد سود
ثم أعمالهم بدت كسراب ... حسبوه المياه فى الأخدود
ثم لما أتوه لم يجدوه ... ودهتهم جهالة المطرود
ورمتهم سماؤهم بشهاب ... فرأوا النار تحت ظل العمود

وبالطبع لا أستطيع أن أقول بعد تلك الأبيات مقالة فى شأن لغز الموت اللهم إلا قولى أن للكافر ظلمة على قلبه تريد له العمى الدائم حتى يكون بعيداً عن التفكير السليم، وإن لم يكن ذلك فليجاوبنى أحدكم على هذا السؤال، لما خلقنا؟

والإجابة يسيرة وهى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**، فعمل الدنيا لابد أن يلحقه موت حتى يكون هناك حساب وكل ذلك بمشيئة العلى الوهاب.

وكان من الشىء العجيب، أن استدل بعض الناس على أن الموت لغز لابد وأن يُحَل، بقصة أكتبها لكم أوبمعنى أصح أنقلها لكم من أحد الجرائد وهى:

*** انتقال الروح من جسد إلى جسد حقيقة أم خيال:**

لابد وأن لكل شىء دليل وماقلته من ذى قبل من كلام حول أن الكفرة يريدون أن يجعلوا من الموت لُغزا. لابد أن أُبرهن عليه وحتى أُبرهن على كلامى فإليكم ماكتب بالحرف دون إزادة منى أو تقصير، والذى سأنقله هو مكتوب بالنص فى أحد الجرائد المصرية وإليكم ماكتب فى الجريدة تحت هذا العنوان الذى وضعته (أغرب من الخيال: إنها قصة مدهشة وغريبة، تلك التى يرويها ستور لوند ستراند فى كتابه «شانتى ديفى» الطفلة المتناسخة. وتبدأ أحداث هذه القصة يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٢٥، حيث دخلت سيدة شابة فى الثالثة والعشرين من عمرها تدعى «لودجى ديفى» أحد المستشفيات الهندية للولادة.. لكن للأسف توفيت أثناء الولادة.

«عادت الروح... بعد سنة من موت الجسد... !»، وبعد عام وشهرين وستة أيام تماما. ولدت فى مدينة دلهى طفلة سميت (شانتى ديفى) لم تكن فى الحقيقة سوى جسد يحمل روح لودجى ديفى التى عادت للحياة مرة أخرى.

حتى سن الرابعة، لم يكن يسمع صوت للطفلة شانتى ديفى، كانت هادئة تماما، تفضل الوحده على عكس غيرها من الأطفال حتى خشى والداها أن تكون ابنتهما خرساء أو صماء.

لكن ما أن أتمت الرابعة من عمرها حتى بدأت تتحدث بتدفق وبصورة

مدهشة، أثارت حيرة والديها، بل بدأت الصغيرة تهذى بأحاديث عجيبة، فهى تتحدث عن ذكريات لها فى حياة سابقة، بل أعلنت لوالديها أن اسمها ليس شانتى ولكن لودجى ديفى وأخبرتهما أن عليها أن ترحل لتبحث عن زوجها وهو براهمى (من طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس) وكذلك طفلها الوحيد، وأعلنت لوالديها أنها عاشت من قبل فى مدينة موترا الواقعة فى إحدى المقاطعات الهندية.

كانت شانتى مختلفة جسمانيا عن غيرها من الأطفال وكذلك سلوكها، فلقد كان هناك إحساس قوى يسيطر عليها ويصعب تفسيره أو تحديده.

كانت تشعر دائما أنها كانت تعيش فى مكان آخر من العالم قبل حياتهم هذه التى تعيشها مع والديها، وفى بعض الأحيان كانت الذكريات تتدفق فى ذاكرتها واضحة جلية وكأنها عاشتها بالأمس القريب، تسمع همسات الرجل الذى تقول عنه أنه زوجها، وتشاهد بالتفصيل منزلها الفخم فى شارع شوبيز فى موترا، والذى لا تغيب الشمس عن واجهته المضيئة اللامعة.

بمرور الوقت، كانت شانتى تدهش الجميع بتصرفاتها الغريبة على سنها الذى لم يتعد التاسعة، وبالرغم من القلق الذى سيطر على والديها إلا أنهما التزما الصمت وفضلا عدم الحديث أو البوح لأحد بحالة ابنتهما، لكن الصغيرة كبرت وأصبحت تتحدث بنفسها لصديقاتها فى المدرسة عما تشعر به، وتروى لهم ما سبق ورددته لوالديها.

وبدأ الجميع فى المدرسة يتحدث عن قصص شانتى المشوقة ووصل ذلك لأسماع مدرسيها ولم يعد الأمر سرا بل بات الجميع يتكلم عن حكايات شانت ديفى.

وبدافع الفضول وفى محاولة لتفسير ما يحدث أرسل مدير المدرسة التى تدرس فيها شانتى، خطاباً للزوج المزعوم بغرض التحقق من مدى صدق روايات شانتى، ويحتوى على التفاصيل التى كانت شانتى ترويها للجميع عن زوجها وحياتها معه والمنزل الذى كانت تعيش فيه.

ومرت الأيام والأسابيع دونما خبر من البراهمى كيدار شوبى، وأخيرا، وبعد

أن ظن الجميع أنه لا يجيب وصل خطاب لمكتب المدير ولقد قرأه أكثر من مرة، حتى يستوعب ماجاء فيه، فلقد أقر الرجل أن كل ماقالته شانتى ديفى حقيقى وأنها لم تخترع شيئا من نسج خيالها، وكل ماقصته قد حدث بالفعل.

وصلت قصة شانتى لأحد أقارب كيدار والذى كان يعيش فى دلهى. ذهب لزيارتها بغرض التحقق من هذه القصة ووضع حدا لها. لكن انتهى به الأمر إلى العكس، فلقد اقتنع بأن روح لودجى ديفز تعيش فى جسم الصغيرة ولقد أرسل خطابا لكيدار فى موترا قال له فيه: ـ لقد زرت الصغيره شانت ديفى، وأنا مقتنع أن لودجى زوجتك المتوفاة أعيدت للحياة مرة أخرى من خلال جسد هذه الصغيرة فهى تتذكر كل شىء عن حياتها السابقة فى موترا، وعليك أن تذهب لمقابلتها.

وبالفعل أغلق كيدار محل بيع القماش الذى يمتلكه فى مدينة موترا، وهى المدينة المقدسة لكريشنا، ورحل إلى دلهى لمقابلة الطفلة بعد أن شجعه ابن عمه.

كان معه زوجته الجديدة وابنه الذى ماتت لودجى وهى تلده كان الجميع فى دلهى فى شوق لرؤية البراهمى الذى حلت روح زوجته الراحلة فى جسد الطفلة شانتى.

وبعد مقابلة كيدار للطفلة لم يعد لديه أدنى شك فى أن روح زوجته تقمصت جسد الصغيرة.

تأثر المهاتما غاندى بهذه القصة الخارقة، وطالب بتشكيل لجنة من الحكماء ورجال الدين للتحقيق فى هذه الظاهرة والتأكد من صحتها.

وفى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٥ ركب ١٥ رجلا من الحكماء والنبلاء، ورجال الدين القطار بصحبة شانتى ووالديها، من دلهى متجهين إلى موترا.

من أول لحظة تعرفت الطفلة على منزل لودجى ووصل الجميع إلى المدينة المقدسة، كانت الشمس غائبة والبرد قارسا، وبالرغم من ذلك استطاعت الصغيرة شانتى أن تعرفت بدون أدنى مجهود على منزلها، حيث كانت تعيش لودجى.

وكذلك تعرفت على جيرانها ووالديها السابقين أى والدى لودجى، ووقف الجميع عاجزين أمام هذه الظاهرة، كان كل شىء يؤكد كلامها ويرجح كفتها،

وفى آخر هذه الرحلة وبعد تفكير عميق اتخذت شانتى قرارها النهائى بالعودة لدلهى بصحبة والديها، كانت تعانى من التمزق الداخلى لكنها كانت تشعر أنها لم يعد لها مكان فى موترا وأن مكانها الحالى فى دلهى.

عادت الصغيرة لدراستها واجتهدت حتى أصبحت تعمل فى مجال التدريس، قررت ألا تتزوج أبدا.

إن الرواية العجيبة التى أوردها ستور ستراند فى كتابه ليست فقط قصة حياة إنسان يمثل ظاهرة مختلفة عن الآخرين ولكن تجربة التناسخ وتجسد روح إنسان توفى فى جسد إنسان آخر، دليل على أن الميلاد ليس هو البداية وأن الموت ليس هو النهاية كما تظن، وهو ماتقوله دائما شانتى ديفى.

هذا هو ما قالته جريدة أخبار الحوادث المصرية ويشهد الله أنى لم أزد حرفاً واحداً فيما نقلت، ولكن بودى أن أقول عبارة وهى «الموت لغز، وتناسخ الأرواح لغز، والقبر لغز، عند الكفرة والجهلة ومعدومى الإيمان بسبب تلك القصص التى توضع بيد خفية».

وحتى أوضح تلك العبارة أقول أن تلك اليد الخفية هى يد الجن ويد بعض مُحترفى الضلال وإليكم بيان لحال كل يد حتى نستطيع أن نفهم حقيقة القصة السابقة.

أولا : الجــــان:

إن للجان يد كبيرة فى تلك المسألة ولعل الكثير يعلم ذلك؛ هذا لأن الجان من أهم مصالحه تشكيك الناس فى الرواسخ العقيدية واسمعوا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1] يقول العلامة ابن كثير فى تفسير تلك الآيه: أى كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البرارى وغيرها، كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم شىء يسؤوهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه

(١) سورة الجن: ٦.

وخفارته (حراسته) فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا، أى خوفا وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم[1].

هذا التفسير للعلامة ابن كثير نزيدُ عليه، أن الجن يستغل الجهل عند بنى الإنسان ليتحكم فيهم ويجعلهم غاية فى الضعف، حتى تكون لهم السيادة والسيطرة، ولعل الناظر نظرة تأمل يرى بعض السحرة يقولون سنحضر روح فُلان وبالفعل يقوم بتحضير الروح أو بالمعنى الأصح «يقوم بتحضير جن على شخص (هذا الشخص هو مساعد الساحر) والجن الذى يدخل جسده يقوم بمماثلة لصوت الشخص الميت» وهنا يظن الحاضرون أن روح الشخص حضرت، وهى فى الحقيقة ليست روح وإنما الجن الذى حضر يحاول أن يوهم الجميع ذلك.

وحتى لا أطيل عليكم فى تلك المسأله أقول لكم أن الروح التى تخرج من الجسد لا تدخل جسداً آخر وإنما هو الجان يستغل جهل الناس ويحاول أن يضلهم ولا يجعلهم يستمعون إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم**﴾ فإن مسألة الروح ليست بالأمر الصعب على الخالق الديان ومبلغ العلم فيها قول الحق: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾: فالمؤمن يؤمن بأن الروح عند الموت تصعد إلى بارئها ولا تدخل فى جسد شخص آخر، وما تلك القصه إلا فعل من أفعال الشياطين حتى يضلوا الناس عن الصراط المستقيم.

ولقد أعجبتنى القصة التى رواها أحد الثقات حيث قال: (كان هناك رجل استاء من أفعال أبية، فدائما ما يرى هذا الرجل أباه فى مناطق السوء، بعيدا عن الصلاة والعبادة، فقرر ذلك الرجل أن يهجر أباه ويمضى فى طريق الخير، وبعد فترة مات الأب فذهب الابن حتى يحضر جنازة أبيه، وهنا حدث العجب العجاب فلقد طار نعش أبيه وهبط فى مكان، وهنا صاح الناس، (عادت روح الرجل إنه من عباد الله الصالحين) وقرر الجميع بناء مقام لهذا الرجل، وهنا جُن جنون الرجل فذهب إلى أمه وأمسك بالسكين وقال: والله لأقتلنك إن لم تخبرينى بالحقيقة. . . !

(١) تفسير القرآن العظيم (لابن كثير): ٤/ ٥١٧ طبعة دار الفكر.

قالت: اعقل يابنى. . . . ! ماذا تريد؟

قال: أريد أن أعرف كيف طار النعش بأبى؟ وهو من أهل الفساد والضلال؟

فقالت: يابنى إنه يعبد الشيطان من دون الله.

فقال: وكيف ذلك. . . ؟

قالت: قم معى حتى أُريك ذلك.

فقام الرجل وذهب مع أُمه؟ ففتحت له أمه باب غرفة من الغرف فوجدها تمتلأ بأشياء غريبة، مثل بعض الأشكال والصور والأصنام كذا إناء يمتلأ بالخمر، فقالت الأم: (فتنت الشياطين أباك وأرادت أن تفتن به الناس).

هذه القصة يوجد مثيلاتها فى بعض القرى فى مصر وللأسف يقول أهل الجهل على تلك الظاهرة إنها لا تكون إلا لولى أو عبد صالح من المقربين، ولكن يعلم أهل العلم أن الروح تصعد إلى بارئها وماهذا إلا فعل شيطان رجيم.

كذا ما قلناه بالنسبة لقصة الفتاة شانتى ماهو إلا فعل شيطان أراد أن يضل الناس، وبالطبع أنتم تعلمون أن الهند تمتلأ بتلك الخرافات لكثرة السحرة والكهنة وما إلى ذلك. فأفعال الشياطين معهم دائمة مستمرة، تارة بالسحر والشعوذة، وتارة أخرى بالتضليل عن الحقائق الثابتة.

ثانيا: يد محترفى الضلال:

اليد الثانية التى تحاول أن تجعل من الموت لغزًا، يد محترفى الضلال من بنى الإنسان، حيث يحاولون استغلال الخرافات وما يناقض الحقائق فى تعمية الناس.

ومحترفى الضلال ما أكثرهم فى عصرنا، وسيسأل الكثيرون وما مصلحة هؤلاء الناس فى محاولة جعل الموت لغزا؟

والإجابة يسيرة جدًا ألا وهى أن المادة «الذهب، الفضة» لها بريق خاص فى أعين بعض الناس ومن أجلهما قد يبيع الإنسان أغلى شىء يمتلكه حتى عقيدته نفسها.

وما أشبه هؤلاء الناس باليهود فلقد قرأت عبارة فى أحد الكتب تقول أن

اليهود يقولون: (اكذب واكذب حتى تصدق نفسك) هذه العبارة موجودة فى كتاب «دعايتهم نصف الحرب» وبالفعل فإن من يدعى أن الموت لغز يحاول أن يحله، يشعر وكأن بالفعل الموت لغز لابد أن يحل، كاليهود أخذوا يرددون بعض العبارات حتى صدقوها واقتنعوا بها، .

لذلك أحباب المصطفى ﷺ أحذروا من كل المراوغين الذين أرادوا الصدود عن سبيل الله ولا تقولوا أبدًا أن الموت لُغز ولكن قولوا ورددوا دائما قول الحق تبارك وتعالى: **﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾** [١].

فتلك هى الحقيقه أن الروح من أمر الله ولئن اطلعوا على روح أى مخلوق ورأوها، لكان لهم الحق فى الحديث والحوار، ولو استطاع أولئك المضلون أن يرجعوا أرواح آبائهم أو أمهاتهم أو أخواتهم، لكان لهم الحق فى الحديث، بل وأعظم من ذلك يا أيها الداعى إلى لغز الموت يامن لا تعترف بصعود الروح إلى خالقها، هلا.. حافظت على روحك حين يأتيك الموت......!

*** دعونى للموت:**

هذا العنوان كتبته حتى يكون ردًا على سؤال هام جداً، هذا السؤال هو، يوجد فى بعض دول الغرب أطباء تخصصوا فى مسألة إعدام المرضى، هؤلاء الأطباء يحملون تراخيص من الحكومة، ويتوجهون إلى المرضى بأمراض خطيرة، حيث يكتب المريض إقرارا بأنه يريد الموت والراحة من مرضه، وهنا يتم إعدامه بأسلوب علمى، هل حقا هذا الأسلوب العلمى لا يسبب ألما وإحساسا بسكرات الموت؟

ولماذا يدع هؤلاء الناس أنفسهم للموت؟ وهل ياترى شعارهم «دعونى

(١) الواقعة: ٨٣ ـ ٩٦.

للموت»؟

وللإجابة على كل تلك الأسئلة نقول: إن العلامة القرطبى قال فى كتابه التذكرة ماكان نصه: (وأما الكافر فتؤخذ نفسه عنفاً، فإذا وجهه كأكل الحنظل، والملك يقول: اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، فإذا له صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير، فإذا قبضها عزرائيل ناولها زبانية قباح الوجوه، سود الثياب منتنى الرائحة، بأيديهم مسوح من شعر، فيلفونها فيستحيل شخصا إنسانيا على قدر الجرادة، فإن الكافر أعظم جرماً من المؤمن، يعنى فى الجسم فى الآخرة، وفى الصحيح أن ضرس الكافر فى النار، مثل أُحُد، فيعرج به حتى ينتهى إلى السماء الدنيا، فيقرع الأمين الباب، فيقال: من أنت؟

فيقول أنا دقيائيل لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب دقيائيل، فيقال: من معك؟ فيقول: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه فى دار الدنيا، لا أهلاً ولا سهلاً، ولا مرحباً، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[1] الآية، فإذا سمع الأمين هذه المقالة، طرحه من يده، (فتهوى به الريح فى مكان سحيق) أى: بعيد، وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2].

فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية وسارت به إلى سجين، وهى صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار.

وأما المقصرون المسلمون فتختلف أنواعهم، فمنهم ترده صلاته؛ لأن العبد من إذا قصر فى صلاته سارقاً لها. تلف كما يلف الثوب الخلق، ويضرب بها وجهه. ثم تعرج وتقول: ضيعك الله كما ضيعتنى، ومنهم من ترده زكاته لأنه إنما يزكى ليقال: فلان متصدق، وربما وضعها عند النساء، ولقد رأيناه عافانا الله مما حل به، ومن الناس من يرده صومه؛ لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران فيخرج الشهر وقد بهرجه، ومن الناس من يرده حجه؛ لأنه إنما حج ليقال فلان حج، أو يكون حج بمال خبيث، ومن الناس من يرده العقوق، وسائر أحوال البر كلها، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات، وتخليص العمل الذى

(١) سورة الأعراف: ٤٠. (٢) سورة الحج: الآية: ٣١.

للملك الوهاب، فكل هذه المعانى جاءت بها الآثار والأخبار، كالخبر الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه فى رد الأعمال وغيره، فإذا ردت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ فى غسله إن كان قد غُسل فتقعد عن رأسه حتى يغسل، فإذا أدرج الميت فى أكفانه صارت ملتصقة بالصدر من خارج الصدر ولها خوار وعجيج تقول: أسرعوا بى، إلى رحمة الله، أى رحمة لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه، وإن كان يبشر بالشقاء تقول: رويداً إلى أى عذاب لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه، فإذا أدخل القبر وهيل عليه التراب ناداه القبر: كنت تفرح على ظهرى فاليوم تحزن فى بطنى. كنت تأكل الألوان على ظهرى والآن يأكلك الدود فى بطنى، ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب[1].

هذا هو كلام العلامة القرطبى يرشدنا إلى وقوع النعيم أو العذاب على الروح حين صعودها وبالطبع لا يشعر بذلك من بجوار الميت وذلك بدليل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[2].

ومن هذا نستدل أن الجميع لا يستطيع رؤية مايقع للميت أو بمعنى أدق للذى يحتضر، والمحتضر نفسه لا يستطيع الإبلاغ أو حتى الوصف، بل والأدهى من ذلك أنه يظل فى غفلة إلى أن يقع به مالا يرد، ولاتنفع عنده قوة أو علم أو حتى سلطان ومال.

ولنستمع سويا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة: ١/ ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) سورة الواقعة: ٨٣ ـ ٩٦.

أَيْديكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(١) ،فهذه الآيات ترشد إلى شيء عظيم وهو أن للكفرة طبيعة خاصة فى موتهم ولكن لو عَلِمَ فرعون أو الكفرة ماهم مقدمون عليه من عذاب وذاقوه جيدًا لما أقدموا عليه.

فالإحساس وذوق الألم أقوى وأدل من الحديث والاستماع ولعل الجميع سيسأل سؤالا غاية فى الأهمية، هذا السؤال هو، هل ياترى المؤمن ينتظر حتى يرى فيؤمن؟

وللإجابة نقول فلنقرأ سويًا تلك القصة التى ساقها الثقات فى يكتب القصص وهى(يحكى أن فرعون اغتاظ من موسى غيظاً شديداً فأراد أن يوقعه، وحاول أن يكيد له، فأخذ بآراء من حوله من حاشية السوء «وما أكثرهم» فدلوه على أمر شيطانى اللفظ إنسانى المعنى والجوهر، هذا الأمر هو (جمع السحرة من أقاصى البلدان أمهرهم وأقواهم وأعظمهم سحراً هو الذى سيحضر ليثبت للملأ أن موسى عليه السلام ساحراً وليس بنبى) وبالفعل اقتنع فرعون وجمع السحرة وقال لهم: أن هناك رجلاً يجعلنا نمتلأ غيظاً...!

فقال السحرة: ومن هو هذا الرجل؟

قال فرعون : إنه رجل يدعى موسى وله أخ يدعى هارون فقال السحرة: ومما سبب غيظه لملكنا؟

قال فرعون: يدعى أنه رسول من عند الله، وما أراه إلا أفاقاً يريد أن يخرج الناس على بسحره.

قال السحرة: إنا عليه لقادرون، ولكن هل لنا من أجر إن كنا نحن الغالبون؟

قال فرعون: نعم، وإنكم عندنا لمن المقربين.

(١) الأنفال: ٥٠ ـ ٥٤.

وبالفعل اتفق الجميع، وتحدد الميعاد، موسى عليه السلام يقف أمام السحرة ويدور هذا الحوار.

قال موسى: ويلكم لاتفتروا على الله الكذب.

فقال السحرة : دعك من هذا الكلام، أنتلقى أم نكون نحن الملقون.

قال موسى: بل ألقوا.

وهنا ألقى السحرة حبالهم، وعصيهم فكانت وكأنها ثعابين تزحف على الأرض وهنا كان موسى خائفا بعض الشيء، ولكن الله ثبته وأوحى إليه أن يلقى بالبرهان حتى يعلم الجميع أن هذا هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل.

وبالفعل ألقى موسى عليه السلام بعصاه فإذا بها ثعبان عظيم يأكل كل الثعابين، ويقف الجميع فى حالة من الذهول والاندهاش ولكن وسط كل هذا الحشد يوجد عالم من علماء السحر ولكنه كان أعمى، البصر وليس بأعمى البصيرة، هذا الساحر هو أكبر السحرة سحرا وسنا وعلما والجميع يخضع لأوامره، أمسك هذا الساحر، بأحد صغار السحرة سنا ودار بينهم هذا الحوار:

قال الساحر الكبير : هل عصا موسى لها بطن؟

قال الساحر الصغير: نعم لها بطن.

قال الساحر الكبير: هل كلما لقفت «أى أكلت» كبرت بطنها؟

قال الساحر الصغير: نعم كلما لقفت كبر بطنها. . . !

قال الساحر الكبير: أعيد عليك السؤال فأجبنى بصراحة هل عصا موسى لها بطن؟

قال الساحر الصغير: نعم. أقسم لك أن لها بطن. . . !

قال الساحر الكبير: وهل تقسم لى أنها كلما لقفت كبر بطنها؟

قال الساحر الصغير: نعم أقسم أنها إذا لقفت كبر بطنها. . . !

وأعاد الساحر الكبير نفس السؤال، فأعاد الساحر الصغير نفس الإجابة وهنا

ظهر الحق.

فقال الساحر الكبير: أيها السحرة، لا تَخدعوا أنفسكم أكثر من ذلك، إن حية موسى عظيمة ولها بطن وكلما أكلت زادت بطنها، ولاينطبق ذلك إلا على حية مخلوقه لاعصا ولا حبل نُخيل به أعين الناس، حية موسى مخلوقة ولايخلق إلا الخالق، فوربى أن موسى مبعوث من عند الله، فلا تظلموا أنفسكم بعد الآن، وارجعوا إلى رب هذه الحية خلقها وخلقكم.

وهنا اغتاظ فرعون وأمر بتقطيع أيديهم وأرجلهم بعد صلبهم فارتضوا بهذا الحكم فآمنوا ساعة بإخلاص ودخلوا الجنة بسلام».

وذلك من قول الحق: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧)
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى
(٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ
لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣)
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن
تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ
مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ
آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ
(٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا
تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ

السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾(1).

فهذه القصة وهذه الآيات العظيمة أرشدتنا إلى أن بنى الإنسان وكذا كل المخلوقات يعلمن أن الخالق هو الله وأن المرجع إلى الله وأن الأمر بيد الله، ولكن هناك من يؤمن ويزيح الغشاوة عن عينيه كالسحرة فى قصة فرعون، وهناك من تأخذه العزة ويعتلى فكره الجهل وقبح الرأى فيضيع ولا يؤمن.

فالنفس البشرية تحتوى على عنصر الخير والشر وكذا تحتوى على العلم والجهل العمد، فمن الناس من يعلم ويفوق خيره شره فيربح ويؤمن ويسلم، ومن الناس من يعتليه الجهل ويطفو عليه الشر فلا يرى إلا الكفر والظلمة تعتليه، فتكون عيشته ضنكا وأظن أن الكل الآن علم جيداً أن الموت حقيقة ويقين ولكن لايشعر به إلا من أتاه، لذلك فإن الكفرة يتركون أنفسهم للموت ولكن عند الانتحار يود الرجوع ولكن لن ينفعه ذلك، فإن فرعون نادى والماء يغرقه ولكن أى نداء هذا، الذى جاء فى غير موعده فما من توبة عند الموت فساعة اليقين إن حانت رفعت التوبة وتكون الحسرة والندامة.

الخلق لله، والمخلوق عليه أن ينتبه فما الخلق من عبث ولكن للعبادة ولتوحيد الخالق، وليعلم المخلوق أن الخالق يعود إليه كل مخلوق فسبحان من له الدوام.

والكافر ما أنكر الموت إلا لجهله، عامداً بالطبع فيه وعند لحظة الموت يعلم أن كبرياءه وطغيانه دفعه للهلاك ولكن هذه اللحظه يتوقف عندها الاستعداد وتبدأ لحظات الندم.

ولعل الجميع سيسأل أهم سؤال، الكافر جُمعت له الدنيا، مال، ونساء، وأولاد، فلما يدفعه كبرياءه وجهله المُتعَمد إلى الموت؟

وللإجابة على ذلك السؤال اقرءوا معى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ

(1) سورة طه: ٥٢ ـ ٧٦.

حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[١] ، فالكافر إن كانت الأموال بين يديه والملذات عن يمينه وعن يساره إلا أن الإحساس بالملذات مقطوع، ونستمع لتفسير العلامة ابن كثير لتلك الآية العظيمة حيث قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أى: خالف أمرى وما أنزلته على رسولى أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أى: ضنكا فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وحيرة وشك، فلا يزال فى ريبة يتردد فهذا فى ضنك المعيشة. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، قال: الشقاء وقال العوفى عن ابن عباس ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: كلما أعطيته عبداً من عبادى قل أو كثر لا يتقين فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة. وقال أيضا: إن قوماً ضلالاً أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا متكبرين، فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشتهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسىء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك)[٢].

وبعد كلام العلامة ابن كثير أظن أن الأمر قد اتضح، فالكافر إن كان فى رغد وترف، الأموال بين يديه والملذات عن يمينه وشماله إلا أن الضنك فى عينه ورأسه وقلبه فلا بركة فى المال ولاقناعة، ولا لذة فى الطعام أو الشراب أو النكاح بل هو عمل كأى عمل، فالبركة منزوعة والضنك واقع، فكيف لا يقبل الكافر على الموت وهذا أكبر تفسير للانتحار فى شباب الغرب.

كذا كل من أعرض عن ذكر المولى عز وجل، فمن لم يكن مع الله فالفقر بين عينيه، والقهر فى نفسه فلا يرى إلا نكداً يدفعه إلى الموت، حيث يندم أشد الندم ويعلم جيداً أن ضنكه ماكان إلا لبعده عن المولى عز وجل وأن العذاب الحقيقى قد بدأ وهنا لا ينفع الندم.

---

(١) سورة طه: ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير : ٢٠٦/٣.

وأخيرًا، فلنطرح أهم القضايا التى أثيرت فى عصرنا الحاضر، هذه القضايا تحاول أن تجعل من الموت والحياة لغزاً، ولكن ياترى ماهى وما الردود عليهما، هذا ما ستعرفه تحت عنوان:

* أعيدوا موتاكم بالدولارات:

فى هذا العصر كثرت الأقاويل حول موضوع من أخطر المواضيع إن لم يفهم جيداً، هذا الموضوع هو قضيه الاستنساخ، تلك القضية التى قامت وقعدت لها الدنيا بدون أى سبب.

لا تتعجبوا من هذا الكلام، ولكن لنسمع قول أحد المفكرين فى قضية الاستنساخ حيث قال: سيأتى علينا زمان نعيد فيه موتانا بحفنة من الدولارات) هل ياترى هذا الكلام صحيح؟

أم أنه من وحى الخيال؟ أم أن الإنسان هكذا دائما ما يهول فى الأمور؟ وللإجابة نقول: أن الحق تبارك وتعالى أجاب على هذه الأسئلة وأنزل الإجابة على محمد ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام نعم، هذه هى الحقيقة ولنقرأ سويا الإجابة فى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[1] أتدرون تلك الآية العظيمه لأى شىء أرشدت...؟

إنها أرشدت إلى استحالة خلق أى مخلوق إلا بأمر رب العزة والملكوت، ولعل هذه الآية الكريمة تهدى قلوب بعض الضالين المنحرفين، أتدرون لم...؟

لأن تجارب الوراثة منذ السبعينات جميعها على حشرة تسمى «بالدروسوفيلا» أتدرون ماهى تلك الحشرة؟ إن هذه الحشرة هى«ذبابة الفاكهة»، أى أن القرآن أخبر منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة أن التجارب التى ستجرى على الخلق مستحيلة واختار الذبابة حتى يؤمن أصحاب العقول.

---

(١) سورة الحج: ٧٣، ٧٤.

ولعل السؤال الهام الآن، وكيف نرد على هؤلاء الناس؟

والإجابة يسيرة جدًا وهى: «هل الفلاح يخلق الزرع. . .؟ أم أن الله هو الخالق؟

نقول: أن الله هو الخالق؛ لأن الفلاح ماهو إلا أداة وضع البذرة فى الأرض، ثم أنبتها الواحد الديان، ولو كان هذا الفلاح خالق لوجب عليه أن يخلق البذرة.

فالخالق من يخلق من لا شيء، لامن يخلق من شيء فإن استطاع الفلاح خلق البذرة ثم وضعها فى الأرض وتيقن من خروجها فهذا خالق وبالطبع فإن ذلك مستحيل.

وكذا هؤلاء من ينادون بمسألة الاستنساخ فما هم إلا حمقى أن قالوا إنها خلق «ذلك لأن أصل عملية الاستنساخ قائمة على الكروموسومات، هذه الكروموسومات هى البذرة فهل يستطيع الإنسان خلق تلك البذرة، إن استطاع خلق الكروموسومات (البذرة) ثم جعلها تنبت وتكون مخلوق، هنا نستطيع أن نقول إنه خالق».

وحتى تكون غاية فى الوضوح نبين لكم أولا معنى مسألة الاستنساخ، فالاستنساخ عبارة عن أخذ كروموسومات من جزء معين من الجسد لدى نعجة ثم توضع فى بويضة نعجة أخرى فيتم التلقيح ثم تثبت فى رحم نعجة فينتج صغيرة تشبه الأم، ويقولون أن هذا خلق وبالطبع إن قالوا خلق فهذا كذب متعمد.

فالخلق يخلق الكروموسوم ثم يُنبِتُه فيُخرِجُ بذلك مخلوق، أما مسألة إثارة الكروموسومات فليست بخلق؛ لأن البذرة وهى الكروموسوم أوجدها الواحد الديان وليس الإنسان.

وهنا نقول أيها الحمقى: إن استطعتم أن تخلقوا الكرموسوم فقولوا (أعيدوا موتاكم بحفنة دولارات) وإن لم تستطيعوا فالتزموا الصمت وقولوا آمنا بالله وحده، ولا تخدعوا أنفسكم فمسأله إثارة الكروموسوم موجودة من القدم، ولعلى أذكر لكم حقيقة علمية يريد هؤلاء الشرذمة أن يتناسوها هذه الحقيقة هى «بيض بعض الحشرات من الممكن أن ينقسم ويخرج حشرة جديدة دون تلقيح من الذكر

وذلك بإثارة كروموسومات البيضة هذا المثال يوجد فى النحل وبعض حشرات التجارب».

هذه حقيقة علمية ولكن الكروموسوم الذى فى البيضة من أوجده إنه الواحد الديان.

وأظن بعد هذا البحث يتضح للجميع أن الخلق يد الخالق وانظروا معى لتلك القصة الجميلة.

«يحكى أن موسى عليه السلام، كان يخطب فى قومه فسأله بعض الناس: يانبى الله من أعلم رجل على الأرض؟

فإذا بموسى عليه السلام يفكر ويقول: أنا...!

فإذا بمكانه يهتز وإذا برب العزة يخبره: ياموسى لست أعلم من فى الأرض.

فيسأل موسى ربه: يارب ومن أعلم من فى الأرض: فيخبره ربه: عن الخضر.

وبالفعل يذهب موسى للخضر وتدور أحداث القصة المذكورة فى سورة الكهف، والتى أريد منها هذا الجزء.

قال الخضر: سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا، ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[1] ففى الآيات دلالة، فعند خرق السفينة قال (فأردت) وعند قتل الغلام عظم وفخم ليستفاد إن ذلك بأمر من العلى الوهاب فقال (فأردنا)

---

(١) سورة الكهف: ٧٩ ـ ٨٢.

ولكن عند علم الغيب ومسألة حفظ الحياة امتنع فقال (فأراد ربك)؛ ذلك لأن الحياة والموت والخلق كل ذلك كائن بأمر الله وأمر الله بين الكاف والنون (كن فيكون).

ما أعظمهما من درس أختم به تلك المسألة ونقول: أيها العلماء سيروا علمكم تجاه الواحد الديان حتى تحيوا بسلام فتفوزوا بالدارين دار الدنيا ودار السلام.

وأخيرا: نختم هذا الباب بقضية جامعة شاملة اسمحوا لى أن أعرضها عليكم تحت عنوان:

اللهم صبرا:

اللهم صبراً على هؤلاء الحمقى الذين يدعون أن الموت ليس بقريب وأن الدنيا لهم باقية، ونسوا أن الحقيقة الكبرى التى يجب أن يؤمنوا بها ويستعدوا لها هى الموت.

ولقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال: «يا أهل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم أما خبر من قبلنا:ـ فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زادًا خيراً من التقوى».

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ياعجباً للناس لوفكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبْصَروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها ... فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى ... والبِرّ كانا خير ما يُدخرُ
عجبتُ للإنسان فى فخْرِه ... وهو غداً فى قبره يُقبرُ
ما بال من أوَّله نطفة ... وجيفة آخره يفجُرُ
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير مايحذرُ
وأصبح الأمر إلى غيره ... فى كل ما يقضى وما

ولعل هذه الأبيات ترشد وتوضح أولى العقول والأبصار، ولعل التائه عن طريق الاستقامة، يدرك بتلك الأبيات أن الشيء الوحيد ذو الحقيقة المؤكدة هو الموت.

واقرءوا معى تلك الأبيات التى تُحذر القوى قبل الضعيف والغنى قبل الفقير، وذو السلطان قبل الحيران، فلنقرأ تلك الأبيات ولتكن فى القلوب والأذهان.

لاشيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولدُ
لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولتْ عاد فما خَلَدوا
ولاسليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوكُ التى كانت لعزتها ... من كل أوبِ إليها وافد يَفِدُ؟
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الأبيات ذات المعنى الجميل والمنافع العظيمة أن شابهت، فإنما تشابه ماقاله الإمام فى إحدى النصائح، هذه النصيحة كانت قصتها كالآتى.

«دخل رجل على الإمام على كرم الله وجهه، وقال له : يا إمام أقسمت بالله أن لا يكتب صك بيتى إلا أنت (يقصد العقد) فنظر الإمام على كرم الله وجهه إلى عين الرجل فإذا بالدنيا متربعة فى عينه، يعلو رأسه غمامة من الأباطيل، هذه الغمامة هى حب الدنيا ونسيان الموت.

فقال الإمام على كرم الله وجهه: أيها الرجل اترك لى الورقة.

فترك الرجل الورقة ورحل، فكتب الإمام على كرم الله وجهه بعد أن حمد الله وأثنى عليه، أما بعد:

فقد اشترى ميت من ميت، داراً فى بلاد النادمين، ودور الظالمين، وسكة الغافلين، تنتهى بحدود أربع، أما الحد الأول فإلى الموت، وأما الحد الثانى فإلى القبر، وأما الحد الثالث فإلى سؤال الملكين، والحد الرابع إلى الجنة والنار.

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت   أن السلامة فيها ترك مافيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه   وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة   حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
لا تركنن إلى الدنيا محابة   فالموت يوماً يفنينا ويفنيها

ما أصدق العبارات ، فاللهم صبراً، اللهم صبراً،حتى يوم الحقيقة التى لن يحيد عنها أحد حينها، سيعلم الجميع أن لا إله إلا الله الذى لا نعبد إلا إياه، فاللهم صبراً.

لنمض سويا بعد تلك الكلمات الجامعة إلى الفصل الثانى الذى سيطرح ما انتهينا عنده وهو هل مات الجميع وثم قبرهم، فى المقابر؟ أم أن هناك من لم يموتوا ولم يُقبروا؟

فلنمضى سويا بأمر المولى عز وجل ولنعلم الإجابة على تلك الأسئلة.

الفصل الثانى

القبر يتحدث

{١} حديث القبر.

{٢} القصور المحترقة.

{٣} مواعظ الصديق.

{٤} وفاة الإمام وعبر للأنام.

الفصل الثانى

القبر يتحدث

لعل الجميع يتساءل ياترى هل يتحدث القبر؟ وياترى إن كان يتحدث فمع من يتحدث؟

وللإجابة نقول بأمر المولى عز وجل، نعم إن القبر يتحدث، وإن حديثه لعظيم، مامن كلمة فى حديثه إلا ولها مدلول، مامن كلمة إلا ولها أصل، مامن كلمة إلا ولها مغزى لأولى العقول والأبصار. ولقد صممت أن أضع هذا الكلام تحت عنوان صغير وهو (حديث القبر) وأرجو من العلى الوهاب، أن يجعلنا من أولى الألباب فنحفظ سويا هذا الحديث ونعمل به بلا تراجع أو تحنيث.

*** حديث القبر:**

ذكر أبو عمر بن عبد البر، روى يحيى بن جابر الطائى عن ابن عائذ الأزدى عن غضيف بن الحارث قال: أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد الله بن عمير، قال: فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: (إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول: «يا ابن آدم ماغرك بى؟! ألم تعلم أنى بيت الوحدة؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة؟ ألم تعلم أنى بيت الحق؟ يا ابن آدم ماغرك بى؟! لقد كنت تمشى حولى فداداً (قال ابن عائذ: قلت لغضيف: ما الفداد يا أبا إسماعيل؟ قال كبعض مشيتك يا ابن أخى) قال غضيف: قال صاحبى وكان أكبر منى لعبد الله بن عمرو بن العاص: فإن كان مؤمناً فماذا له؟ قال: يوسع الله فى قبره ويجعل منزله أخضر ويعرج بروحه إلى السماء.

هذا هو الخبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص والذى استقاه من تعاليم النبوة، ولكن ياترى ماهو الأثر الشريف فى شأن حديث القبر؟

إن الأثر الشريف هو، ذكر أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له، عن أبى الحجاج الثمانى قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول القبر للميت إذا وضع فيه:**

ويحك يا ابن آدم ماغرَّك بى؟ألم تعلم أنى بيت الفتنة.وبيت الظلمة.وبيت الدود؟ ماغرك إذ كنت تمر بى فداداً»؟ قال:

فإن كان صالحاً أجاب عنه مجيب القبر.

فيقول: **أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟**

قال: **فيقول القبر: «فإنى أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً. وتصعد روحه إلى رب العالمين».**

هذا هو حديث القبر فمن يعتبر ولنقرأ سويا تلك الأبيات التى تهز الوجدان، وتحرك الكيان،وتنطق أن يا أهل الغفلة عودوا إلى الحنان المنان،لنقرأ ونتمعن ونعتبر.

ضعوا خدى على لحدى ضعوه ... ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقاً ... وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا انقضت ... صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه ... على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا: هذا فلان ... هلموا فانظروا هل تعرفوه؟
حبيبكم وجاركم المفدى ... تقادم عهده فنسيتموه

تلك الكلمات ما أصدقها وما أروعها، فلوا انتبه الإنسان ولو للحظة لعلم أن الحقيقة هى «جسده القوى، وجمال خلقته، ستذهب ويكون عفنا ينكره الحبيب قبل الغريب، وعظما فى طيات النسيان، ولا يبقى له إلا عمله أمام الواحد الديان» تلك هى الحقيقة فهل من معتبر لاتخدعوا أنفسكم وقولوا دائما وتذكروا قول الشاعر:

أسلمنى الأهل ببطن الثرى ... وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى مُعدما بائساً ... مابيدى اليوم إلا البكا
وكل ماكان كأن لم يكن ... وكل ما حذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى ... قد صار فى كفى مثل الهبا
ولم أجد لى مؤنساً هاهنا ... غير فجور موبق أوبقا
فلو ترانى وترى حالتى ... بكيت لى ياصاح مماترى

ما أجمل الحقيقة حينما توضع أمام العين فلو أدرك كل إنسان على وجه الأرض، أن مصيره التراب والدود، وأن حسابه لامحالة من عند الغفار الودود، لتراجع عن المعاصى ولأقبل على الطاعات، ولعلم أن النجاة كل النجاة لمن أعد للقاء الواحد الديان.

ولكن، ياترى ماهى القصور المحترقة؟ وماهى الحقيقة؟

وأين توجد تلك القصور؟

*** القصور المحترقة:**

روى مسلم عن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه، وأخرجه الترمذى أيضا عن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ (أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ) قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح لعلى ابتدأت الموضوع بهذا الحديث الصحيح حتى يوضع فى أفهامنا ونمضى سويا لأقص لكم ما حدث معى، وجعلنى أنقل لكم هذا العنوان (ذات يوم ذهبت إلى القاهرة ووجدت الأتوبيس يجرى فى أبنية غاية فى الجمال وشوارع فى منتهى الاتساع فرفعت نظرى لأعلى، أقصد إلى أعلى مكان فى البناية فلم أستطع القراءة ولكن خمنت أنها تشبه المقابر وهنا توقف الأتوبيس لأنظر إلى أحد اللوحات المكتوبة أعلى البناية فوجدت (مقابر فلان بن فلان بك) وهنا ابتسمت وجاء فى فكرى قول الشاعر:

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخراً ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم ... فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الغنى على الفقير؟

ويا الله على من يريد مقابلة ربه بلقبه فى الدنيا، نعم لقد ظللت اقرأ على المقابر كلمة بك، وكلمة باشا، وكلمة المغفور له بالله عليكم من أدراهم أنه قد غفر له، أم من أدراهم أنه ليس من أهل النار.

وكانت المفاجئة الكبرى أننى بعد أن أكملت تعليمى الجامعى فى القاهرة عدت إلى المنصورة وزرت المقابر لأرى أن المنصورة أيضا بها نفس الشئ؟

وكانت المفاجأة بالنسبة لى عظيمة فقد رأيت مبانى جديدة مكتوب عليها مقابر الدكتور فلان بن فلان، توفى فلان بن فلان سليل عائلة فلان.

نعم هذا ما وجدته والله على ما أقول شهيد ولكنى أيضا وجدت مايشرح صدرى فلقد وجدت مقابر فى التراب ولا يوجد عليها بناية فسررت وعلمت أن الخير فى أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة).

هذه هى القصة التى أردت أن أذكرها لكم ولكنى ذكرت قبلها حديث رسول الله ﷺ حين نهى أن يكون القبر مبنيا.

أتدرون لم اخترت كلمة القصور المحترقة؟ لقد اخترتها لقول الشاعر :

وإذا وليت أمور قوم ليلة　　　فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حُمِلَت إلى القبور جنازة　　　فاعلم بأنك بعدها محمول
ياصاحب القبر المُنَقّشِ سطحه　　　ولعلّه من تحته مغلول

فأولئك الذين يتطاولون فى بنيان المقابر مخالفة لرسول الله ﷺ، هل يظنون أنهم بذلك قد نجوا...! والله لقد أخطأوا فإن القبر لا يكون فيه إلا العمل، فالعمل أنيس المرء منا فى قبره، فإن كان العمل صالحاً فنعم الجليس، وإن كان عمل سوء فبئس الجليس وذلك لقول رسول الله ﷺ فى حديثه إخباراً عن أحوال القبر، وما جاء فى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، **«إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ماكنت تقول فى هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال ما دريت ولاتليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه**

غير الثقلين».

والمقصود بالثقلين (الإنس والجن) فالقبر آه.. ثم آه لمن لم يُعد له، فالمتناسى للموت والقبر ما هو إلا ضال مختبئ كالنعام رأسه فى الرمال ولكن الهلاك واقع بها لامحالة فليفق من اتعظ من هذا الكلام.

وحتى أكون مُلما بموعظة الموت والقبر أسوق إليكم خطبة الصديق والتى أضعها تحت عنوان:

مواعظ الصديق:

خطب أبو بكر الصديق يوماً بالناس فأرشد وبين الطريق لمن أراد الهداية من العبيد على ضوء ماتعلمه من الحبيب محمد ﷺ وماحفظه من كتاب الله، فقال: (أوصيكم بتقوى الله لفقركم وفاقكتم أن تتقوه، وأن تُثْنُوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وأن تخلصوا لله اليقين فيما بلغكم من كتابه، فإنه أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: **﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾** سورة الأنبياء: ٢١.

واعلموا أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفانى، بالكثير الباقى وهذا كتاب الله لاتفنى عجائبه، فصدقوا قول الله، وانتصحوا كتابه واستضيئوا به ليوم الظلمة فإنما خلقكم لعبادته، وأمركم بطاعته واعلموا أنكم تَغْدُون وتَرُوحُون، فى آجال قد غُيِّب عنكم عِلمُهَا، فإن استطعتم أن ينقضى الأجل، وأنتم فى طاعة الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا فى مَهَلٍ من آجالكم من قبل أن تنقضى، فيكون قد أسلمتم إلى سوء أعمالكم، فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم فالوحا الوَحَا، ثم النجاء النَّجاء، فإن من ورائكم طالباً حثيثاً، مَمَرُّهُ سريع.

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟

وأين هم اليوم؟ وأين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال؟

وأين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحروب؟

قد ضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نُسُوا ونُسِيَ ذِكرُهم، فهم اليوم لاشيء.

وأين الملوك الذين بنوا المدائن العِظام، وحصونها، وجعلوا فيها الأعاجيب. . ! فتلك بيوتهم خاوية وهم فى ظلمات القبور **﴿هل تُحِسُ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾** سورة مريم ١٩.

أين الوُضَّاءُ «الحسن النظيف» الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ قد صاروا رميماً.

وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ وقد وردوا على ماقَدَّموا فحلُّوا فى الشقوة والسعادة.

إن الله تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به شرا إلا بطاعته وابتاع أمره وإنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعد الجنة.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم(١).

ما أجمل الكلمات وأصدق العبارات، من اتبعها وعلمها فعمل بها كانت السعادة نُصب عينيه.

ولعلى أختم هذا الباب بقصة غاية فى الروعة والجمال جمعت بين الموعظة والحكمة وأبيات الشعر المتلألئة، إلا أن صاحبها قد رحل وترك لنا علمه وحكمته وموعظته، هذه القصه أختم بها الباب واسمحوا لى أن أضعها تحت عنوان :

وفاه الإمام وعبر للأنام:

عند وفاة الإمام الشافعى، أو بمعنى أدق فى مرض موته ترك لنا عبارات وكلمات توضع فى الآذان والأذهان يُغلق عليها القلب وتكون منهجاً للإنسان.

هذه القصة هى (حدث المزنى فقال: دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت: كيف أصبحت ؟

---

(١) الخبر ورد فى كتاب الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

قال الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقا ولكأس المنية

ولما قسى قلبى، وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوك سُلَّماً
تعاظمنى ذنبى فلما قرنتُهُ ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّة وتكرما
فلولاك لم يصمُد لإبليس عَابِدٌ ... فكيف وقد أغوى صَفَّيك آدماً
فلله دَرُّ العارِفِ الندبِ إنه ... تفيض لِفُرْطِ الوَجدِ أجفانه دما
يُقيمُ إذا ما كان فى ذكر ربه ... وفى ما سواهُ فى الورى كان أعجما
وَيَذْكُر أياماً مضت من شبابه ... وما كان فيها بالجها أجرما
فصار، قرين اللهم طول نهاره ... أخا الشُّهيدِ والنجوى إذا الليل أظلما
يقول حبيبى أنت سؤلى وبغيتى ... كفى بك للرَّاجين سُؤالاً ومغنما
ألست الذى غذيتنى وهديتنى ... ولازلت مناناً عَلىَّ ومُنْعِماً
عسى من له الإحسان يغفر زلتى ... ويستر أوزارى وما قد تقدما

(الموت) شاربا، وعلى الله جل ذكره، واردا ، ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة أم إلى النار؟ فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

ما اجملها وأعظمها كلمات أختم بها هذا الباب وأقول: ما أجمل من علم فعمل، وقرأ فأبصر وأيقن الحقائق واحتضن الحق ورحل عن الباطل، فالحق سبيل النجاة والباطل سبيل الهلاك، القبر حق والموت حق ولقاء الله حق فهيا بنا نعدُ للقاء الحق.

هؤلاء عادوا من القبور

هؤلاء عادوا من القبور

لقد سبق وتكلمنا فى كتابنا السابق (**تحضير الأرواح**) عن الروح ومكانها وهل يمكن تحضيرها؟ وما إلى ذلك من أسئلة هامة .

ولكن هنا سنكون فى حال غير حال كتابنا السابق فهنا سننظر إلى بعض القصص التى حدثت، وحيرت الكثير وفوجئت أن أغلب الناس فى عصرنا يطرحونها ورأيت أن منهم من يطرح القصة بحذافيرها بدون أى إخلال أو تضييع للحق، ومنهم من يطرحها للتسلية ويضع فيها الأباطيل، وما أكثر من يفعل ذلك.

ولهذا سنمضى بأمر المولى عز وجل لنقص الحق، ونذكر الحقيقة فى شأن تلك القصص، وحتى نكون على قدم ثابت فى مسألة القبر والروح وأرجو من الرحمن أن نتفهم تلك القصص ونغوص فيها فنعلم الحق وندفع الباطل.

قتيل بنى إسرائيل «روح وحياة»:

سمعنا الكثير عن قصة بنى إسرائيل والتى دارت أحداثها فى عهد موسى عليه السلام، وقد قرأنها سويا فى سورة البقرة، من الآية السابعة والستين إلى الآية الثالثة والسبعين، وناقشت قضية عودة روح الرجل بعد ضربة بجزء من البقرة، ولكن للأسف أتدرون أن بعض الناس يقولون: إن روح القتيل كانت مُعلقه، والبعض الآخر يقول: لا إنها كانت بداخله ولم تصعد إلا بعد أن نطقت، وما حدث له من تغيير سببه حبس الروح فى الجسد وليس صعودها وهذا فى أول الأمر ولعل كل تلك العبارات تستهدف التضليل وحتى نرد على هذا التضليل نذكر سويا القصة بأكملها.

(كان رجل من بنى إسرائيل مكثراً من المال، وكانت له ابنة، وابن أخ محتاج، فذهب ابن الأخ إلى الرجل يطلب خطبة ابنته، فرفض الرجل رفضاً شديداً وعنف الفتى.

وهنا ثار الفتى وغضب، وقال: والله لأقتلن عمى، ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولآكلن ديته، أى لا يأخذ منى أحد دية لقتل عمى ولربما أخذ أناديته من

رجل أتهمه بقتل عمى).

وبالفعل أتى الفتى وقد قدم فى بعض أسباط بنى إسرائيل، فقال: ياعم انطلق معى فخذ لى من تجارة هؤلاء القوم لعلى أن أصيب منها، فإنهم إذا رأوك معى أعطونى.

فخرج العم مع الفتى ليلاً فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدرى أين هو فلم يجده، فانطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم، وقال: قتلتم عمى فأدوا إلى ديته، فجعل يبكى ويحثوا التراب على رأسه وينادى: واعماه... واعماه... واعماه.

فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدية فقالوا له : يارسول الله ﷺ ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية، فوالله إن ديته علينا لهينة، ولكن نستحى أن نُعير به.

فقال لهم موسى عليه السلام: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فقالوا له: نسألك عن القتيل وعمن قتله، وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا...!

فقال موسى عليه السلام: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، فقالوا له: ادع لنا ربك يبين لنا ما هى...؟[1].

فقال موسى عليه السلام: ﴿إنها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون﴾.

الفارض: هى الهرمة الكبيرة فى السن.

البكر: الصغيرة فى السن.

والمقصود بقرة ليست بكبيرة ولا صغيرة «متوسطة» فقالوا له: إذا فادع لنا ربك يبين لنا ما لونها...؟

قال موسى عليه السلام: ﴿إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر

(١) وعند تلك المقولة علق ابن عباس رضى الله عنه قائلا: لو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا وتعنتوا على موسى عليه السلام فشد الله عليهم.

الناظرين﴾ فقالوا له: فادع لنا ربك يبين لنا ماهى؛ لأن البقر تشابه علينا.

فقال موسى عليه السلام: إنها بقرة لاتعمل فى الحرث وليست بذلول فى العمل ومسلمة من العيوب لا بياض فيها.

وهذا ماورد فى سورة البقرة من قول الحق تبارك وتعالى: **﴿قال إنه يقول إنها بقره لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها﴾.**

فقالوا له: الآن جئت بالحق.

وذهبوا فطلبوها فلم يقدروا عليها، وكان رجل فى بنى إسرائيل من أبر الناس بأبيه، وإن رجلاً مر به معه لؤلؤ يبيعه، وكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح.

فقال صاحب اللؤلؤ للابن: تشترى منى اللؤلؤ بسبعين ألفاً .

فقال الفتى: كما أنت حتى يستيقظ أبى فأخذه بثمانين ألفا .

فقال صاحب اللؤلؤ: أيقظ أباك وهولك بستين ألفا.

وجعل التاجر صاحب اللؤلؤ يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفا، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف.

فلما أكثر عليه قال: والله لا أشتريه منك بشىء أبداً، وأبى أن يوقظ أباه.

فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة، وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة، فأبى فأعطوه ثنتين فأبى، فزادوه حتى بلغوا عشراً، فقالوا: والله لا نتركك حتى نأخذها منك.

فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام.

فقالوا: يانبى الله إنا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها، وقد أعطيناه ثمناً.

فقال له موسى عليه السلام: أعطهم بقرتك.

فقال الفتى: يانبى الله أنا أحق بما لى.

فقال موسى عليه السلام: صدقت، وقال للقوم: ارضوا صاحبكم فأعطوه

وزنها ذهبا فأبى، فأضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً فأعطاهم إياها وأخذ ثمنها فذبحوها.

وهنا قال موسى عليه السلام: اضربوه ببعضها.

فضربوا القتيل بالبضعة التى بين الكتفين، فعاش القتيل فسألوه: من قتلك؟

فقال لهم: ابن أخى، قال أقتله وأخذ ماله وأنكح ابنته.

فأخذوا الغلام فقتلوه)[1].

هذه القصه التى وردت فى كتب التفاسير، لم أجد أبداً أن أحد تلك الكتب العظيمة قالت أن روح الرجل كانت معلقة أو أن القتيل كانت روحه تنتظر أن تبوح بسر قائلها، فالقصه ماهى إلا دلالة على عناد اليهود، فلو أتوا بأى بقرة حينما قال لهم نبى الله موسى: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» لصح عنهم ذلك وجاز ، ولكنهم أخذوا يسألوا ويرهقوا نبيهم ويأتوا بأشياء لها عجب العجاب.

فيسألون عن أشياء غاية فى الغرابة، فى حين أنهم فى غنى عنها فهذه القصة ترشد إلى عناد اليهود، وأيضا إلى آية من آيات الواحد الديان، وهى آية إحياء الموتى، حتى تكون عظة وعبرة لأولئك المعاندين.

وهذه القصة لا يوجد بها أى أثر يرشد أو يدلل إلى أن روح الرجل كانت معلقة وكذا فإن جميع كتب التفاسير لم تكتب ذلك ولم تشر إليه.

هذا هو الرد الأول لمن قال بتعليق روح الميت «لم يشر أى كتاب للتفسير أو الحديث إلى هذا الأمر وبالتالى فهو أمر باطل» والرد الثانى سنقوله إن شاء الله فى نهايه هذا الفصل، لأن النهاية ستكون جامعة لمسألة الروح ومكانها عند الموت عندما نصير بين الدود والتراب.

موت المفترى عليه:

كثرت الأقاويل وارتفعت أصوات الباطل تقول: إن عُزيرا هو ابن الله، نعم قال هذا اليهود وغالوا فى ادعائهم حتى يذيع صوتهم ويزيفوا الحقائق، ولكن الله

(١) القصة بكاملها وتعليقها فى كتاب: تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير: ١ /١٣٨ ـ ١٤٠ كذا فى الدر المنثور بعضها: ١/ ٧٧ ، وكشف الخفاء: ٢/ ٩.

خذلهم، ورد كيدهم وكذبهم كل الناس.

ولكن الطامة الكبرى هم أدعياء العلم فى بعض العصور وأيضا فى عصرنا، هؤلاء الناس نادوا بأن عزير هو الآية التى تسبح فى أرض الله، وأنه بيننا ومعنا، ورفعوا من شأنه وغالوا، حتى أنى أستسمحكم فى تلك المقولة: «إن هؤلاء الحمقى جعلوا من كلام اليهود جرساً يدق وينذر بالخطر»، نعم هذه هى الحقيقة ومن لا يصدق فليذهب إلى بعض أدعياء الصوفية، وهم أيضا من قصدتهم بقولى (أدعياء العلم)، وسيسمع منهم العجب العجاب فى شأن عزير، فهم يقولون أنه رجل لن يُقبر ولن يموت وهو آية الله الدائمة فى أرضه.

وحتى لا أطيل عليكم فلنمض سويا ولنذكر الحقيقة فى قصة عزير ونعلم ماكتبه علماء التفسير أهل الحكمة والعلم الغزير فى شأن عزير.

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1].

هذا بالطبع هو الحق فى قصة عزير، فالقرآن لم يخبر أبداً بهذه الهلاوس التى يدعيها أهل الجهل والضلال وإن شئنا الاستزادة فلننظر فى تفسير تلك الآية العظيمة.

نعم لننظر إلى جمهور المفسرين ونرى جيدا وبوضوح ماذا قالوا فى شأن عزير؟ وهل يوجد منهم أحد وافق هؤلاء الجهلة؟ وماهى الحقيقة الكاملة الواضحة والمفسرة فى قصة عزير؟

وللإجابة على كل تلك الأسئلة أستسمحكم فى أن أجعل الرد يكون بأسلوبى، ولكن بالطبع الرأى بأكمله منقول من تفسير القرآن العظيم لابن كثير وكذا تفسير القرطبى، وكذا صفوة التفاسير وكذا تفسير العلامة الطبرى، والبداية

(١) البقرة: ٢٥٩.

والنهاية لابن كثير وحتى لا أطيل عليكم فاليكم القصة بكاملها وهى:

كان عُزيرُ عبداً صالحاً وحكيما خرج ذات يوم إلى مكان يتعهده بالزيارة، وعندما اشتد الحر ذهب إلى أحد الأماكن الخربة ليحتمى من الحر، ودخل على حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب وعندما نزل فى ظل المكان الخرب، اعتصر العنب الذى معه وأخرج خبزاً يابساً كان معه فألقاه فى العنب ليبتل، ثم استلقى على قفاه وجعل رجله على الحائط ونظر فى سقف البيوت الخربة، وتعجب الأمر وقال ياتُرى أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها»، وبالطبع لم يكن هذا التعجب شكّا منه فى قدرة المولى عز وجل، ولكنه كان تعجب من الموقف الخراب والموت والعظام ثم بعد ذلك الحياة مرة أخرى...!

كان ذلك التفكير تعجب وتدبر ولم يكن أبداً شك من هذا الحكيم.

وهنا بعث المولى عز وجل ملك الموت فقبض روحه (فأماته الله مائة عام) وعندما بعث كانت حال البلاد قد تغيرت فأصبحت عماراً.

ثم بعث المولى عز وجل ملكا، فخلق الله قلب عزير، ليعقل قلبه وعينيه لينظر بهما فيعقل، كيف يحيى الله الموتى، ثم ركب خلقه، وهو يتنظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح، كل ذلك وعزير يرى ويعقل، ثم استوى عزير جالسا.

فقال له الملك: كم لبثت؟

قال عزير: لبثت يوما أو بعض يوم...!

فقال الملك: بل لبثت مائة عام، ولكن انظر إلى عصير العنب الذى رضعت فيه الخبز فى القصعة إنه لم يتغير، وكذلك التين لم يتغير ولم يصبه شيء.

فأحس عزير بشك فى كلام الملك كيف يعقل أنه لبث مائة عام ولم يتغير العنب وكذلك التين، ومن المعروف أن التين يكون غير صالح بعد فترة قليلة.

فقال الملك: أنكرت ماقلت لك؟

فلم يتفوه عزير والتزم بالصمت ولكن عاجلة الملك الحديث.

فقال الملك: ياعزير لا تنكر قبل أن تنظر إلى حمارك.

فنظر عزير إلى الحمار فإذا بعظامه بالية مُفتتة.

فنادى الملك عظام الحمار، فأجابت وأقبلت من كل ناحية، وركبها الملك وعزير ينظر إليه وهو غاية فى التعجب، ثم ألبس الملك عظام الحمار عروقها وعصبها ثم كساها لحمها ثم أنبت الجلد والشعر ثم نفخ فيه الملك، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقاً يظن القيامة قد قامت، وهذا تفسير قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً﴾**.

وهنا قال عزير: أعلم أن الله على كل شىء قدير.

وركب عزير حماره وذهب إلى بلدته فانكره الناس وأنكر الناس منزله، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء لا تستطيع الحركة، قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة، وكانت عقلته وعرفته فسن العشرين خير سن للمعرفة والإدراك فلم تكن بالصغيرة.

فقال عزير: ياهذه... أهذا منزل عزير؟

فقالت: نعم هذا منزل عزير.. وبكت ثم قالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسيه الناس فقال عزير: فإنى أنا عزير، كان الله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى.

قالت: سبحان الله فإن عزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر.

قال: فإننى أنا عزير:

فقالت: إن كنت أنت عزير، فادعوا الله لى أن يشفين فإن عزيراً قد اشتهر بأنه مستجاب الدعوة، فإن كنت أنت عزير فادعو الله لى أن يرد على بصرى حتى أراك فأعرفك.

فدعا الله لها ومسح بيده على عينيها فأبصرت، وأخذ بيدها وقال: قومى بإذن الله، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة، ثم نظرت.

فقالت: أشهد أنك عزير.

وانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة وثمانى عشر سنة وبنى بنيه شيوخ فى المجلس فنادتهم. وقالت: هذا عزير قد جاءكم.

فكذبوها واشتدوا وثاروا عليها حتى ترجع عن قولها.

فقالت: أنا فُلانة مولاتكم دعا لى عزير ربه فرد الله على بصرى وأطلق رجلى وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه.

وهنا نهض الناس وذهبوا ليروا أمر ذلك الرجل، وعندما جلسوا عنده.

قال ابن عزير: كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا بالشامة.

فكان ذلك فى قول الحق (ولنجعلك آية للناس) فلقد برهن على أنه عزير، فسبحان من يحيى العظام وهى رميم، ولعل قول الشاعر فى هذا الشأن يغنينى عن الكلام حيث قال:

واسود رأسُ شاب من قبلِه ابنُهُ ... ومن قبلِه ابنُ ابنِه فهو أكبرُ
يرى ابنه شيخاً يدبُّ على عصا ... ولحيتُهُ سوداَءَ والرَأسُ أشقرُ
وما لابنِه حَيْلٌ ولا فضْلُ قوةٍ ... يقومُ كما يمشى الصبى فيعثُر
يعد ابنه فى الناسِ تسعين حُجةً ... وعشرين لا يجرى ولا يَتَبخْتُر
وعمرُ أبيه أربَعُون أمرَّها ... ولاَنَ ابنه تسعون فى الناس عبرُ
فما هو من المعقُولِ إن كنت دارياً ... وإن كانت لَا تدرى فبالجهل تُعذَرُ

ما أجمل الأبيات التى تبين عظمة الخالق، فمن الآيات العظيمة أن توجد تلك المسألة الأب أصغر عُمراً من ابنه، حيث إن عزيراً مازال فى الأربعين فى حين أن ابنه وصل إلى مائة وثمانى عشر سنة.

هذه هى قصة عزير بأكملها نقلتها من كتاب البداية والنهاية لابن كثير ووضعت فى هذا النقل أسلوبى وراجعت القصة فى كتب التفاسير فلم أجد ما قاله

الجهلاء فى عصر آه... ثم آه.. ثم آه منه من عصر قد ذاع فيه صوت هؤلاء الجهلاء المتبجحون بغير علم أو دليل أو برهان، وحسبى أن أقول من يريد الاستزادة فليرجع إلى كتب التفاسير، ولا يسمع لمجرد عبارات دون أن يقرأ نص أكيد، فإن الدين الإسلامى قوى متين يجب على أصحابه أن يتمسكوا بقواعده، فيعلموا أنه لا فتوى إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو الاجتهاد لمن هو أهل بالاجتهاد ولا اجتهاد فى نص، هذا ما يجب أن نعلمه فنعمل به، فاللهم اهدنا إلى العلم والعمل آمين.

الخاتمة

بعث النار

كلام الله للعبيد

الخاتمة

فى نهاية هذا الكتاب المتواضع بودى لو أطلعكم على حديث، ورسالة جاءت فى صحف إبراهيم، هذا الحديث وتلك الرسالة أرجو من المولى عز وجل أن نتدبرهما فنعقل مافيهما ونعمل بكل كلمة جاءت فى هذا الكتاب.

أتدرون لم. . . !

لأن هذا الحديث الذى سأسوقه إليكم بأمر المولى عز وجل يبين مدى رحمة الله بتلك الأمة، وكذلك الرسالة تبين كيف أن المولى عز وجل رحيم بعبادة رحمة فاقت رحمة الأم برضيعها حين تضعه على ثديها، ومن يتدبر الحديث ويمعن فى الرسالة، ينبغى عليه أن يستحى فلا يذعن إلا للحق وليعلم أن الموت حق وليس بلغز وأن الحق فى الدليل من الكتاب والسنة لا فى أقوال أهل الجهل وأدعياء العلم، وليقل بأعلى صوته اللهم إنا نشهد أن لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وحتى لا أطيل فإليكم الحديث والرسالة وأرجو من الله أن أكون قد أحسنت فى اختيارهما ليكونا خاتمة لهذا الكتاب المتواضع.

بعث النار:

الحديث هو، حدثنا عثمان بن أبى شيبة العَبْسىَّ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عن الأعمش، عن أبى صالح عن أَبى سَعِيد؛ قال: قال رسُولُ الله ﷺ : «يقول الله عز وجل: يا آدمًّ! فيقول: لَبَّيْكَ!وسعديك! والخير فى يديك!قال يقول: أخْرِجْ (بَعْثَ النَّار)»[1].

قال: وما بعث النار. . . ؟

قال: من كل ألْفٍ تسعمائة وتِسْعَةً وتسعين .

قال: فذاك حين يشيب الصغير وتَضَعُ كُلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلَهَا وترى النَّاس **سُكَارَى وماهم بِسُكَارَى ولكن عذاب الله شديد.**

(١) بَعْثَ النار: يقول العلامة النووى فى شان تفسيرها: «البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه «ميز أهل النار من غيرهم».

قال: فاشتد ذلك عليهم.

قالوا: يارسول الله ! أَيُّنَا ذلك الرجل؟

فقال: **«أبشروا فإن من يأجوج ألفاً. ومنكم رَجُلٌ»** قال: ثم قال: **« والذى نفسى بيده! إنى لأطمع أن تكونوا رُبُع أهل الجنة»** .

فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: **«والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة»** فحمدنا الله وكَبَّرْنَا ثم قال: **«والذى نفسى بيده! إنى لأطمع أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهل الجنة إن مَثَلَكُم فى الأمم كمثل الشَّعَرَةَ البيضاء فى جلد الثور الأسود»**[1] .

هذا هو نص الحديث والآن إليكم أحبة رسول الله ﷺ الرسالة والتى سنضعها تحت عنوان :

*** كلام الله للعبيد:**

هذه الرسالة جاءت فى صحف إبراهيم عليه السلام وكان نصها: (من العزيز الحميد إلى من خلقت من العبيد سلام عليكم، هذه رسالتى إليكم بما اختصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم إلى الوجود ووهبتكم الجود ثم أنشأت لكم الأسماع فسمعتم والألسنة فنطقتم ثم أشهدتكم على أنفسكم بالوحدانية فشهدتم ولكنكم بعد الإقرار أنكرتم وعند البلاء جزعتم فلا تستكثروا ما يصيبكم فإن عدتم عدنا وزدنا بالكرم وجدنا فمن تاب قبلنا ومن نسى ذكرنا ومن عمل قليلاً شكرنا نعطى ونمنع ونجود ونسمح ونعفو ونصفح كرمنا مبذول وسترنا مسبول عبدى انظر إلى السماء وارتفاعها. والشمس وشعاعها والأرض واتساعها والأفلاك ومدارها والبحار وأمواجها وماهو ظاهر وكامن ومتحرك وساكن وما غاب وما حضر وماخفى وما ظهر الكل يشهد بحلالى ويقر بكمالى ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكرى عبدى أذكرك وتنسانى وأسترك

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٤٨) باب قصة يأجوج ومأجوج (فتح البارى) ٦/ ٣٨٢، وفى التفسير والتوحيد فى الرقاق وأخرجه مسلم فى باب قول **«يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين»** مسلم بشرح النووى: ١/ ١٠٩٧، وأخرجه النسائى فى التفسير فى الكبرى على ماجاء فى التحفة ٣/ ٣٤٦.

ولاتخشانى لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها أو البحار لأغرقتك فى معينها ولكن أحميك بقدرتى وأمدك بقوتى وأؤخرك إلى أجل أجلته ووقت وقته ولابد لك ولكل نفس من الورود والوقوف بين يدى أعدُ عليك أعمالك وأذكرك أفعالك حتى إذا أيقنت بالبوار وأدركت أنك من أهل النار... ! أوليتك غفرانى ومنحتك رضوانى، وقلت لك: «لا تحزن فقد غفرت لك الذنوب والأوزار ومن أجلك سميت نفسى العزيز الغفار».

وإلى هنا تنتهى الرسالة، ومن قبلها كان الحديث، وفى ظنى، بل وفى صميم ظنى أن أولى الألباب سيقفون وقفة عظيمة مع أنفسهم فلا يخضعوا بعد قراءة الحديث والرسالة إلا للحق؛ لأن أولى العقول والأبصار سيدركون كم أن الله رحيم وكم أنه غفور حليم، فيستحيون جميعاً من عصيانه.

وإلا فمن قرأ ولم يعمل فما هو إلا ضائع طائش من يُنعِمُ عليه كمن يسخط، والعياذ بالله من قوم ضاعوا ولم يستحوا من الخالق الواحد الديان.

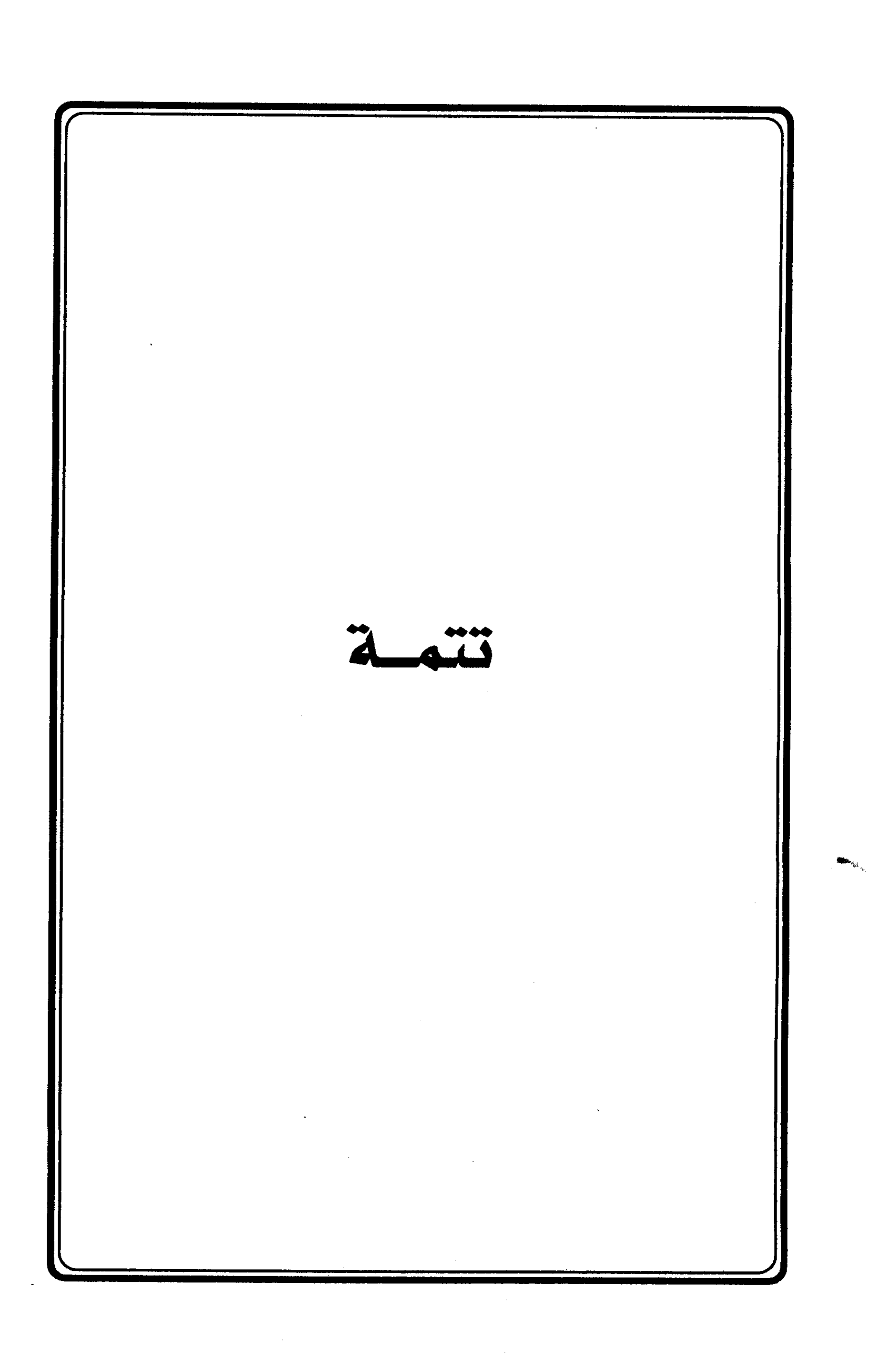
وأخيرًا، أرجو من المولى العزيز الرحيم أن نكون من أهل طاعته، وأن نكون من أهل جنته وأن يرضى علينا فلا يسخط اللهم آمين آمين آمين.

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصورة ـ عزبة عقل بجوار مجمع الإيمان

ت/ ٣٦٧٩٢٥



تتمــة

تتمة

الحمد لله الذى أعاننى على إنهاء هذا الكتاب المتواضع والله ربى وحده أعلى وأعلم، بمدى جهدى فى جمع تلك المسائل التى تهم الأمة سواءً أكانت مسألة انتقال الروح، أم مسألة لغز الموت أم مسألة العائدون وكلام الصوفيه وكيفيه الرد عل...

وأظن أنى بفضل الله قد جمعت بجهد وفير ولكن هناك مسائل أخرى كثيرة وهامة وللأسف لا أستطيع أن أجمعها تحت هذا الكتاب، وبين صفحاته.

لأنها تحتاج إلى شرح وبيان وإسهاب ومن أمثلتها البقرة الحمراء، ومؤشرات القيامة، ومن بُعث قبل البعث ومادار فى شأن حديث القيامة، وما هى الأدله التى سيق... القيامة قد اقتربت وأن ميعادها سيكون فى عام...!

كل هذه الأسئلة وأكثر لا أستطيع أن أجاوب عليها وأجمع أدلتها فى هذا الكتاب المتواضع لذلك رأيت تأجيلها إلى كتاب آخر سيصدر قريباً إن شاء الله وهو كتاب (**وماذا بعد القبور**) حيث سنتحدث فى هذا الكتاب عن قضيه بقرة اليهود الحمراء وقضية العلماء المثبتون لحديث الألفان، وهو حديث القيامة عام ٢٠٠٠، ومؤشرات القيامة التى ظهرت ورآها أهل العلم الغربى، وما قاله الصوفيون وحالوا إثباته فى بعض البلدان بشأن قيامه بعض الناس، وكيف أبهروا الناس بذلك وأخيرا، سيختم الكتاب بموعد القيامة الذى جاء فى الكتاب والسنة، وحكاه أهل العلم والدين، وأخيرا فلننتظر ولنرتقب ونسأل العلى الودود أن يوفقنا ويرحمنا فى الدنيا، والقبر بين التراب والدود، وكذا فى الآخرة إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الفهرس